ملخص المحاضرات (٤-٥-٦)أدب أندلسي

أُخيتكم إيثار

المحاضرة الرابعة

تحدث عن مكانة الشّعر عند الأندلسيِّين.؟

كان الشِّعر على مرِّ العصور وسيلةً ترْفع صاحبها إلى أسمى مراتب الدَّولة، بغضِّ النَّظر عن عقيدة الشَّاعر ودينه، فقد نبغ عددٌ من الشُّعراء غير المسلمين. من بيْنِهم شواعر مثل: قسمونة بنت إسماعيل، وحمدونة بنت زياد، ...ولم يكن لشيءٍ من ذلك أن يحدث لولا تسامُح سائر المجتمع وتجانُسٍ أرْسى أصوله بين الناس.
وقد حظِي الشِّعْر عند الأندلسيِّين بمكانة عظيمة، وكان للشُّعراء من ملوكهم وجاهةٌ ولهم عليهم وظائف، والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة، ويوقع لهم بالصلات على أقدارهم، وهو أمرٌ لم يكن مختلفًا كثيرًا عما كان للشُّعراء عند العرب.
فبلاد الأندلُس عُرِفَت بِجمال مناظِرها وأوْضاعها الطبيعيَّة الخلاَّبة، فأفاض الشُّعراء في التغنِّي بمناظرها.
ويقول في هذا الصدد لسان الدين بن الخطيب:

غِرْنَاطَةٌ مَا لَهَا نَظِـــيرٌ مَا مِصْرُ مَا الشَّامُ مَا العِرَاقُ
مَا هِيَ إلاَّ العَرُوسُ تُجْلَى وَتِلْكَ مِنْ جُمْـــلَةِ الصَّدَاقِ

ولعلَّ هذه الطبيعة هي التي غذَّت فيهم الروح الموسيقيَّة المرحة التي حدت بهم إلى أن يتفنَّنوا في الأوزان الشعريَّة، فيضيفوا إلى ما هو معروف منْها أوزانًا في غاية الخفَّة والجمال، وتعد الموشحات خير دليل.

تحدث عن نشأة الشعر الأندلسي؟

ظهر الشعر الأندلسي في ظروف مختلِفة عن مثيله في الشرق، ظروف تتَّصل بطبيعة الأندلس وتنوُّعها وجمالها، وأخرى متَّصلة بالتكوين الثقافي للسكَّان.
فلأوَّل مرة يلتقي الجنس العربي مع أجناس لاتينيَّة وقوطية وبربريَّة ويهوديَّة على أرض واحدة.
وتتعايش تحت سمائها الأديان السماوية الثلاثة: الإسلام واليهودية والمسيحيَّة.
فيسمع صوت المؤذن إلى جانب رنين أجراس الكنائس والبِيَع، وتتحدَّث العربيَّة إلى جانب الأمازيغية، الإسبانية.
فنشأ من التعايش بين هذه الأديان والأجناس والثقافات واللغات جوٌّ خاص وحضارة فذَّة.
إنَّ السماحة التي ظلَّلت المجتمع الأندلُسي وبعده عن التعصُّب المقيت، لعِب دورًا كبيرًا في خلق التَّعايُش والتَّجانُس بين سكَّان الأندلس، كان أثره المباشر على الشّعر الأندلسي.
هذا؛ وقد برز منهم بعض الأعلام في ميادين الأدَب والثقافة مثل ابن المعز الإشبيلي.
الَّذي كان يكنى بأبي إسحاق، فقد كان شاعرًا مجيدًا ظهر في أيَّام المعتمد بن عبَّاد، ومن لطائف شعرِه قوله في كلبة صيد:

لَمْ أَرَ مَلْهًى لِذِي اقْتِنَاصٍ وَمَقْنَعَ الكَاسِبِ الحَرِيصِ

لَم يكن ظهور الشِّعر الأندلُسي المعبِّر عن البيئة نتيجةَ عمل فرْدٍ واحد، إنَّما هو عبارة عن ملامح نجِدُها لدى شُعراء كثيرين على نحْوٍ مُتفاوت فيما بينهم، وتزداد مع الأيَّام وضوحًا إلى أن أصبح الشِّعر الأندلسي مميَّز الخصائص والسِّمات.
الشَّيء الذي يدفع للقَول بأنَّ اكتمال الشَّخصيَّة الشعرية الأندلسيَّة لم يؤدِّ إلى إثبات الوجدان الأندلسي المستقل فحسب؛ بل ساهم بشكْلٍ كبير في ظهور إبداع أندلسي أصيل شهِدته الأندلس، متمثِّلٍ في الموشَّحات والزَّجل، باعتبارهما فنَّين غير مسبوقين، كانا من ثمار التميز الأندلسي.

ماهي اتجاهات الشعر الأندلسي:

اتجه الشعر في الأندلس إلى ثلاثة اتجاهات:

1- الاتجاه المحافظ:

الذي يهتم بالموضوعات التقليدية ويتبع منهج القدماء في بناء القصيدة من حيث الأسلوب البدوي، حيث تحوي ألفاظه جزالة وعبارات لا تخلو من خشونة وحوشيّة، أما بحوره فطويلة وقوافيه غنائية، ويحتذي هذا الاتجاه نماذج المشرق.

٢ـ الاتجاه المحدث:

وهو الاتجاه الذي حمل لواءه بالمشرق مسلم بن الوليد وأبو العتاهية وغيرهما، من دعاة التجديد، الذين ثاروا على الاتجاه المحافظ وطرقوا موضوعات جديدة بأسلوب متنوع.
خالفوا فيه طريقة القدماء في بناء القصيدة، وعَرِفَت الأندلس هذا الاتجاه على يد عباس بن ناصح، حيث نقله من المشرق.
وتمثل الاتجاه المحدث في الأندلس باهتمامه بأغراض لم تكن قائمة بذاتها في القصيدة من قبل، فظهرت القصائد بأسلوب قصصي لا يخلو من روح الدعابة والسخرية.
أما صوره فتتألّف من عناصر حضرية في لغة يسيرة الألفاظ وإيقاع يميل إلى البحور القصيرة والقوافي الرقيقة، ويعد الشاعر يحيى بن حكم الغزال من أشهر رواد هذا الاتجاه.

3ـ الاتجاه المحافظ الجديد:

الذي ظهر في المشرق بسبب تطرف الاتجاه المحدث ومن ثم هو محاولة لإعادة الشعر العربي إلى طبيعته وموروثه دون جمود أو بداوة.
وقد عمد هذا الاتجاه إلى الإفادة من رقي العقل العربي بما بَلَغَتْه الثقافة العربية الإسلامية من نهضة واسعة في مجتمع توفرت له أسباب الحضارة، ، وكان هذا الاتجاه محافظًا في منهج بناء القصيدة ولغتها وموسيقاها وقيمها وأخلاقها وروحها.
ولكنه مجدد في المضمون وفي معاني الشعر وصوره وأسلوبه، ويمثل أبو تمام والبحتري والمتنبي دعائم هذا الاتجاه في المشرق، وقد عرفت الأندلس هذا الاتجاه على يد نفر من الأندلسيين رحلوا للمشرق وعادوا للأندلس بأشعار البحتري وأبي تمام.
وكانت فترة الخلافة في ذروة نضجها، إذ كان المجتمع الأندلسي في هذه الفترة قد تجاوز الانبهار بالمستحدثات الحضارية التي بهرت شعراء القرن الثاني وأصبح أكثر استقراراً وتعقلاً.
ومن أعلام هذا الاتجاه ابن عبد ربه وابن هانئ والرمادي وغيرهم.

ماهي الفنون التي نُظم فيها الشعر؟

ويمكن تقسيم الفنون التي نظموا -أو قالوا- فيها الشعر الى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى:

الأغراض التقليدية التي جاروا فيها شعراء المشرق وإن اختلفت طريقة التعبير فيها عندهم في بعض أجزائها وهذه الأغراض هي :
الغزل والمدح والفخر والرثاء والزهد والهجاء والمجون.....الخ.

المجموعة الثانية:

الأغراض التي لا تخرج عن كونها من الأغراض التقليدية أيضا ولكنهم توسعوا بالقول فيها، لوجود مقتضيات هذا التوسع ودواعيه في مجتمعهم وتتمثل هذه الأغراض في:
شعر الطبيعة ورثاء المدن والممالك.

والمجموعة الثالثة:

الفنون الشعرية المحدثة التي لم يُسْبَقوا إليها وهذه هي الموشحات والازجال والأغراض الشعرية المحدثة:شعر الاستغاثة او الاستنجاد والشعر التعليمي.
وكل فنون الشعر الاندلسي تجمع بينها سمات عامة مشتركة ثم ينفرد كل فن بعد ذلك بسمات خاصة تميزه وفقا لطبيعته.

ماهي سمات الشعر الأندلسي العامة المشتركة:

غلبة الوصف الشعري والخيال عليه، والميل في طرائق التعبير الى الأساليب البيانية من تشبيه واستعارة وكناية والى بعض الأساليب البديعية كالطباق والمقابلة وحسن التعليل والمبالغة.

وإن كانوا يخرجون بها أحياناً الى الغلو وأغلب معانيهم تتسم بالجدة والطرافة أما الفاظهم فتتميز بالسهولة والوضوح والعذوبة وقلما يعثر الإنسان في شعرهم على لفظة حوشية غريبة أو لفظة تنبو عن الذوق أو تعاف الأذن صوتها..

وقد عالج شعراء الأندلس مختلف أغراض الشعر وإن تميزت بعض الأغراض باهتمام أكبر من غيرها، ويمثل الشعر أحد جوانب الحضارة العربية الأندلسية، فقد عبر عن قوالب تلك الحضارة وعن مضمونها وطبيعة الصراعات السياسية والتغيّرات الاجتماعية في الأندلس.

ومن أهم الأغراض الشعرية التقليدية بالأندلس:

١-الغزل٢- المدح- ٣-الهجاء.- ٤-الفخر.- ٥-الزهد.- ٦-الرثاء.

١- الغزل.

من أهم الأغراض التي عالجها الشعر الأندلسي، ومن أبرز الفنون التقليدية، يستهل به الشعراء قصائدهم، أو يأتون به مستقلاً وأوضح سماته:

أولاً:تلك الرقة في العواطف المعبّر عنها في رقة البيان.

ثانياً: كثرة السبايا .

وكان للحياة الأندلسية دور إيجابي في طبيعة شعر الغزل، فهو غزل حسّي يقف عند حدود الوصف المادي مستعيراً أوصاف المحبوب من البيئة حوله، وبالرغم من ذلك فهناك من اتخذوا الغزل العفيف مذهباً لهم.

شاع التغزل بالنصرانيات، وكثر ذكر الصلبان والرهبان والنساك.

كذلك شاع التشبيب بالشعر الأشقر بدلاً من الشعر الفاحم، وكما أن الشعراء جعلوا المرأة صورة من محاسن الطبيعة.

فالغزل كان يعبر عن الحب الصادق، فلا مجال إلا لفارس عاشق أو عاشق فارس يُذكر بعنترة بن شداد.

ولعل أهل الأندلس كانوا يتمثلون عالم الآباء والأجداد، حيث الصحراء والكثبان والواحات وهم في عالم يبعد عن ذلك العالم، وكأنهم يستلهمون العالم المثالي.

وبالرغم من ذلك كان لهذا الاتجاه سماته الخاصة في الشعر الأندلسي، وقد جعلت تلك السمات لهذا الشعر ذاتية مستقلة وطبعت الملامح الأولى للشعر الأندلسي وميزته عن الشعر المشرقي.

ومن أشهر شعراء هذا الاتجاه عبد الرحمن الداخل وأبو المخشي والحكم بن هشام وعباس بن ناصح وغيرهم من شعراء الفترة الباكرة.

******ولم يظهر المجون الذي يخلط فيه الجد بالهزل في عهد الدولة الأموية في الاندلس لسببين:

الأول: لانشغال الناس بالفتوح.

الثاني: لأن الوازع الديني كان قوياً في النفوس.

لكن منذ عصر ملوك الطوائف حتى نهاية حكم العرب في الأندلس.

اتخذ بعضهم المجون مادة شعرهم، وأفرطوا فيه إلى حد الاستهتار بالفرائض.

مع ظهورعدد غير قليل من الشعراء الذين نظموا في الزهد في القرن الخامس الهجري في ظل دول الطوائف كعلي بن إسماعيل القرشي.

وكان عصر الطوائف مجالاً لنشر الشعراء اشعارهم في مجالس الحكام والأمراء والمنتديات، وكان للغزل أثر بارز، ومن هؤلاء الشعراء ابن حزم، وابن زيدون وقد لمع في هذا العصر نجم ابن زيدون الذي صدح بشعره الغزلي وساجلته في جزء منه ولادة بنت المستكفي.

اما في عصر المرابطين برع في الغزل الأعمى التطيلي، كما برع في عصر الموحدين وحفصة الركونية.

كما أعطت الموشحات، الغزل نفحة خاصة، كالذي نجده في موشحات ابن خاتمة، ولسان الدين، وابن زمرك.

٢- المدح:

لم يختلف شعر المدح في الأندلس عنه في المشرق من جهة وفرة دواعيه وكثرة شعرائه فقد كانت الدولة الأموية مقصداً لشعراء الأندلس، حيث حافظ الشعراء على الأسلوب القديم، فاعتنوا بالاستهلال وحسن التخلص، وربما بدؤوا قصائدهم بوصف الخمر أو الطبيعة.

أو بلوم الزوجة زوجها لسفره للقاء الممدوح كما في شعر ابن درَّاج القسطلي (ت٤٢١هـ)، وهم لم يغرقوا في استعمال الغريب ما عدا ابن هانئ (ت٣٦٢هـ) الذي حاول تقليد المتنبي.

وظهر من شعراء الدولة الأموية في غرض المدح ابن عبد ربه

واشتهر في مدح المرابطين الأعمى التطيلي، وابن خفاجة، ومن شعراء الموحدين ابن الأبّار واستمر شعر المدح في عصر دولة بني الأحمر فكان من شعراء هذا الغرض في القرن السابع ابو البقاء الرُّندي.
وفي القرن الثامن جمهرة عظيمة منهم لسان الدين بن الخطيب وتلميذه ابن زَمْرَك الذي خلد شعره المدحي بنقشه في الحجر على جدران قصر الحمراء وأعمدته واقواسه وابهائه، وقد نظم شعرا وتوشيحاً.
وظهر في القرن التاسع ابن فركُون الذي زخر شعره بمعاني المرح التقليدية، ودارت معانيه حول معاني الجهاد ومباغتة العدو، والنيل من جنده، واحتياز البلاد الذي يسيطر عليها، مما يعطي النص الشعري خصوصية أخرى أندلسية.

٣- الهجاء:

ومن الشعراء الذي اشتهروا بالهجاء مؤمن بن سعيد (ت ٢٦٧هـ)، وقد رماه طول لسانه في السجن حتى مات فيه، وممن شارك في الهجاء محمد بن يحي الشهير بلقب القلفاط (ت ٣٠٢هـ) وكان صديقاً لابن عبد ربه.
ثم انقلبت الصداقة الى عدواة، واشتركا معا في الهجاء، في قضايا شخصية، او قضايا عامة، كالظلم والهزيمة في الحرب والخلل الاداري.

٤- الفخر:

دخل الفخر الأندلس مع الوافدين والفاتحين لها، وحين ثارت العصبية بين العرب المولدين كثر شعر الفخر والهجاء، ومن شعراء العرب محمد بن سعيد الأسدين ومن شعراء المولدين العَبْلي.
وظهر في هذه الفترة سعيد بن جُودي، وابن حزم، وفي ملوك عصر الطوائف الأمراء عبد الملك بن هذيل تولى بعد ابيه الحكم سنة (٤٣٦هـ).

٥- الزهد:

عرف الشعر الأندلسي غرض الزهد في جملة من الأغراض الشعرية المألوفة، وكان ابن أبي زَمنين، أحد الذين طرقوا هذا الفن، وكان شعر الزهد يتردد على قلة عند بعض الشعراء على وجه تلقائي غالباً، تقف وراءه خطرات الشعراء، وظروف الحياة بعد التقدم في السن.
وكان القرن الخامس الهجري في ظل دولة الطوائف منطلقا لعدد غير قليل من الشعراء لنظم شعر الزهد، كابي اسحاق الإلبيري.
وظروف القرن من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية سمحت بمثل هذا الاستغراق في شعر الزهد، ومن الشعراء الذين مالوا الى القول في الزهد:
أبو القاسم السُّمَيْسر وكان زهده باللسان دون الاعتقاد به والاعتماد له مذهبا، لقد زهد شعره حين قصرت أحواله عن مطالبه.
وقد تكون الفلسفة – التقوى – مصدرا من مصادر الشعر الزهدي كالذي نجده عند ابن الحداد.
ومنهم من صدروا في شعرهم الزهدي عن قناعة ورأي وهي فئة العلماء الأتقياء العاملين بعلمهم ومنهم أحمد الإقليشي، ومنهم اسماعيل الفهري القرشي، وكان أهل زمانه يشبهونه بابي العتاهية.
وإن كان الزهد دعوة إلى الانصراف عن ترف الحياة، فإن التصوف شظف وخشونة وانعزال عن الخلق في الخلوة إلى العبادة. ويتخذ الشعر الصوفي الرمز أداة للتعبير عن مضمونه وحقائقه.
ومن متصوفة الأندلس ابن عربي وابن سبعين وكان يلقب «بقطب الدين».

٦- الرثاء:

لم يختلف رثاء شعراء الأندلس عن المشارقة، فكانوا يتفجعون على الميت، ويعظمون المصيبة، وكثيراً ما كانوا يبدؤون بالحكمة، كما صنع ابن عبد ربه .

المحاضرة الخامسة

أهل الأندلس وسعوا القول في غرضين من أغراض الشعر ماهما:

وصف الطبيعة.
رثاء المدن والممالك.

تحدث عن غرض وصف الطبيعة في الأندلس ؟

ألهبت طبيعة الأندلس الجميلة قرائح الشعراء، فرسموا لوحات شعرية متنوعة أودعوها أخيلتهم وعواطفهم. مثلا:

رأى عبد الرحمن الداخل نخلة بالرصافة (شمالي قرطبة)، فلم يصفها في طولها ولا في التفافها ولا في ثمرها.
وإنما عقد بينه وبينها شبهاً في النوى والبعد عن الأهل. حيث أهاجت شجنه وذكرته بوطنه فيقول:

تَبَدَّتْ لنا وسط الرَّصافة نخـلةٌ تناءت بأرض الغرب عن وطن النخل

ووصف ابن عبد ربه الطبيعة بمعناها العام المتمثل في الرياض وأزهارها فخلع على صياغته من نفسه ومهارته ما جعلها مصورة للبيئة الأندلسية أدق تصوير.
وقد ردد ابن حمديس (ت٥٢٧هـ) أصوات القدماء في الطبيعة كما ردد أصوات المحدثين.
ووصف الخيل والإبل والغيث والبرق، وأقحم عبارات امرئ القيس، ثم حاكى أبا نواس في الدعوة إلى نبذ الوقوف على الأطلال، ودعا إلى الشراب.
وكثيراً ما وصف ترحاله وتغربه عن صقلية التي أبعد عنها وهو حدث (٤٧١هـ) لما غزاها النورمان.
وهناك أيضا من تغنى بجمال الطبيعة الأندلسية، فابن سفر المريني يتعلق بالأندلس فيراها روضة الدنيا وما سواها صحراء.
ووصف الشعراء أقاليم الأندلس وربوعها وصفاً دقيقاً، فحمدة بنت زياد (من شواعر القرن الخامس الهجري) تصف وادي آش القريب من غرناطة فترسم أكثر من صورة متحركة.
وبدافع من التطور الحضاري أدخل الأندلسيون إلى قصورهم الماء ليملأ البرك في باحتها، ولينتشر من أفواه التماثيل.
أما وصف مجالس الأنس فقد بدأ ظاهرة اجتماعية في أخريات الدولة الأموية في الأندلس، ثم أخذت المجالس بالانتشار والشيوع ويغلب على هذا الشعر الارتجال، وفيه وصف للساقي والخمر.
كذلك رأى الشعراء الأندلسيون في المرأة صورة من محاسن الطبيعة، وقد ألح ابن زيدون في ديوانه على ثنائية ولادة والطبيعة.
وفي بعض أشعارهم ميل إلى النزعة القصصية، ومن ذلك قول جعفر بن عثمان المصحفي (ت٣٧٢هـ) في سفرجلة تتبع وصفها مذ كانت تختال على شجرتها إلى أن ذبلت في كف الشاعر.
ويغلب على الوصف في الشعر الأندلسي التشبيهات والاستعارات ويمثل لها بشعر ابن سهل (ت٦٤٩هـ)، فقد صور الشاعر الطبيعة فأحسن المزج بين الألوان، وجمع بين الحس المرهف، والملاحظة الدقيقة.

ماهي خصائص شعر الطبيعة بالأندلس؟

إن الشعراء قد أكثروا من وصف الطبيعة وعكسوها في شعرهم بصورة متميزة فكان أن تميز الشعر الاندلسي بخصائص يمكن إجمالها في الآتي:

- كان من معالم هذا الوصف الاقبال على تصوير معالم البيئة الاندلسية المميزة وذلك بالأكثار من وصف الغدران والبحار والانهار والازهار والاشجار وكل ما وقعت عليه عين الشاعر الاندلسي بحكم ما موجود في تلك الطبيعة.
- كان للزهر حيز كبير في الشعر الاندلسي يعدل ما كان له من شأن في حياة الاندلسيين عامة.
  فقد دأب الشعراء على وصف الورد والياسمين والريحان والنيلوفر والنرجس غيرها.
- وكان من مظاهر الوصف في الشعر الاندلسي الايغال في التصوير القائم على التزين والتلوين جريا على ما عرف به الاندلسيون من ميل الى الزخرفة والزينة.
  وقد أدت تلك النزعة لدى بعض شعراء الطبيعة الى أكتضاض الصور بأشعارهم مستعملين التشبيه والاستعارة.

من أغراض الشعر الأندلسي رثاء الممالك الزائلة تحدث عنها ؟

وهو تجربة إنسانية قل نظيرها في الأدب العربي لما اتصف به من حدة وحماسة، وجرأة في نقد المجتمع، ودعوة لاسترجاع ما ذهب.
لقد رثى المشارقة المدن التي استبيح حماها، كما صنع ابن الرومي حين رثى مدينة البصرة عندما أغار عليها الزنج سنة ٢٥٥هـ، لكن هذا اللون لم يظهر في الأدب المشرقي كما ظهر في الأدب الأندلسي فناً قائماً بذاته.

وسار الرثاء في ثلاثة اتجاهات ماهي ؟

الأول هو رثاء المدن التي كانت عامرة فخربت أو ضاعت، ويمثل لـه بشعر أبي إسحق الألبيري يصف البيرة وما أصابها من دمار وخراب.

أما الثاني فرثاء الدويلات التي زالت في أثناء الحكم العربي في الأندلس وفيه يعدد الشعراء ما حل بأرباب نعمتهم من أسر أو قتل أو تشريد كما في رثاء ابن اللبانة (ت٥٠٧هـ) دولة بني عباد.
ورثاء ابن عبدون (ت٥٢٧هـ) دولة بني الأفطس في قصيدته الرائية «البسّامة».
الاتجاه الثالث فهو الشعر الذي نظمه أصحابه في رثاء المدن الضائعة مما سقط في يد العدو كما في قصيدة أبي البقاء الرندي (ت٦٨٤هـ).

التي تتوزعها ثلاث فكر هي الاعتبار بزوال الدول، وتصوير سقوط المدن، ثم دعوة المسلمين إلى الجهاد.

ماهي الأغراض التي استحدثوها شعراء الأندلس ؟

شعر الاستغاثة:

ويقوم على استنهاض عزائم ملوك المغرب والمسلمين لنجدة إخوانهم في الأندلس أو التصدي للاجتياح الإسباني.
وقد أورد المقّري في نفح الطيب قصيدة ابن الأبّار (ت٦٥٨هـ) التي استغاث فيها بسلطان تونس أبي زكريا الحفصي سنة ٦٣٦هـ ومطلعها:

أدرك بخيلك خيـل الله أندلسـا إن السـبيل إلى منجاتها درسـا

فاستوعبت معظم الاتجاهات والمعاني التي أتى بها شعراء الاستغاثة.

الشعر التعليمي:

ويراد به الأراجيز والمنظومات التاريخية والعلمية، وهو لا يلتقي مع الشعر الفني الذي يغلب عليه عنصرا الخيال والعاطفة إلا في صفة النظم، ويستقل في الرجز كل شطر بقافية.
من الأراجيز التاريخية أرجوزة يحيى ابن حكم الغزال (ت٢٥٠هـ) شاعر عبد الرحمن الثاني (الأوسط) وهي في فتح الأندلس.
وأرجوزة أبي طالب عبد الجبّار (القرن الخامس الهجري) وكان يلقبونه بالمتنبي وقد قصر شعره على الوصف والحرب والتاريخ.

ومن الأراجيز العلمية:

أرجوزة ابن عبد ربه في (العروض) وأرجوزة الشاطبي، القاسم بن فيّرة (ت٥٩٠هـ) في القراءات وعنوانها «حرز الأماني».
وألفية ابن مالك (ت بدمشق سنة ٦٧٢هـ) في النحو، وأرجوزة لسان الدين بن الخطيب المسماة «المعتمدة» في الأغذية المفردة.

ماهي فنون الشعر الأندلسي المتطورة؟

أحدث الأندلسيون فناً جديداً يتجاوب مع البيئة التي شاع فيها الغزل والشراب والغناء وهو الموشح الذي يعتمده أكثر من وزن وأكثر من قافية، فيعمد الوشاح فيه إلى ضرب من التنويع والافتنان العروضي.

الموشحات الأندلسية:

نشأ هذا الفن في القرن الثالث الهجري على يد رجلين من قرية قبرة بالاندلس هما: محمد بن حمود الضرير، ومقدم بن معافى، كما قال ابن بسام وابن خلدون.
وإن كان بعض الدارسين، ومنهم المستشرقان الإسبانيان خوليان ريبيرا Ribera وغارثيا غومث Garcia Gomez، يرون أن الموشح تقليد لشعر رومانسي كان الإسبان يتغنون به، وقد أبقوا منه الخرجة الأعجمية.
فالموشح يتألف من مطلع ومجموعة أدوار وخرجة، فالمطلع هو القفل الأول، أما الدور فيتألف من مجموع القفل والغصن.
ويأتي القفل على سمط أو اثنين أو أكثر، وكذلك الغصن، أما الخرجة فهي القفل الأخير من الموشحة.
نظم الموشح في الأغراض المختلفة، وظهرت أسماء لامعة لوشاحين كان أغلبهم شعراء من أمثال:
أبي بكر عبادة بن ماء السماء وعبادة القزاز .
ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس، نسجت العامة على منواله بلغة غير معربة قريبة إلى اللغة التي يتكلم بها الناس في مخاطباتهم اليومية ما سموه بالزجل.

وقد مرت الأزجال بأدوار متلاحقة أولها دور الأغنية الشعبية، ثم دور القصيدة الزجلية، واتسعت الأزجال لأغراض كثيرة كالمديح والغزل والتصوف والوصف.
ومن أشهر الزجالين ابن والششتري وقد برع في القصيدة والموشح، وهو أول من استخدم الزجل في التصوف كما استخدم محيي الدين بن عربي التوشيح فيه.

ماهي خصائص الشعر الأندلسي:
مر الشعر الأندلسي بأطوار ثلاثة ماهي ؟

فكان منذ الفتح حتى أوائل القرن الخامس الهجري يمثل شعر التقليد لأدب المشرق، ولم يكن التقليد عجزاً عن الابتكار، وإنما لشعور الانتماء إلى الأصل كشعر ابن عبد ربه، وابن هانئ .
وفي القرن الخامس الهجري جمع الشعراء بين التجديد والأخذ بشيء من التقليد، ويمثل هذا التطور شعر ابن زيدون، وابن عمار
أما في القرن السادس الهجري وما بعده، فقد صور الشعراء بيئتهم، وبرزت العوامل الأندلسية الذاتية كما في شعر ابن حمديس، وابن عبدون
لقد أولع الأندلسيون بكل ما هو شرقي،
وبسبب هذه المحاكاة للمشارقة في أساليبهم ومعانيهم قيل للرصافي ابن رومي الأندلس، ولابن دراج متنبي المغرب.
وكانت ظاهرة الانتقاء من التراث من خصائص الأدب الأندلسي، فكانوا يضمّنون قصائدهم أقوال السابقين وأشعارهم وأمثالهم وما صادف هوى في نفوسهم.
كما لقي حب الجديد صدى مستحباً في نفوس الأندلسيين، فلم يتقيد أغلبهم بأساليب الأعراب ومعانيهم وأوصافهم، ولم تكن لغتهم محكمة كلغة المشارقة والأقدمين لبعد صقعهم عن البادية، ولوجود جيل لم يكن عربياً صرفاً، وقد نفروا من الألفاظ الوحشية إلى الألفاظ المأنوسة الرقيقة.
وكانت القافية الواحدة، وأوزان العروض الستة عشر ومثلها أكثر المعاني والأساليب المتوارثة قوام الشعر التقليدي في الأندلس.
امتاز الشعر الأندلسي في مُجْمَلِه بمميزات ماهي ؟
١ - الألفاظ و التراكيب: جاءت ألفاظ الشعر الأندلسي سهلة رقيقة عذبة، خالية من الغرابة والخشونة أما التراكيب فجاءت سلسة محكمة الصياغة بعيدة عن التعقيد، لا يظهر فيها أثر لغموض أو التواء أو خلل؛ لأنهم لم يُحمِّلوا التراكيب ما لا تطيق من المعاني المزدَحِمة، فجاء أكثر شعرهم جارياً مع الطبع، من غير تكلُّف أو تصنُّع.
٢ - المعاني و الأفكار: تتميز معاني الشعر الأندلسي بأنها واضحة جليَّة، بعيدة عن تعمُّق الفلاسفة وتدقيق الحكماء، لأنه لم يُقدَّر للأندلسيين أن يشتغلوا بعلوم الفلسفة والمنطق، لعدم تأثرهم بالترجمة والنقل من الثقافات الأخرى كما كانت الحال في المشرق.
كما تتميز معاني الشعر الأندلسي بالخُلُوِّ من المبالغة في طلب المعاني. وأخيراً فقد وُجد في الشعر الأندلسي كثير من المعاني المبتكرة، والأفكار المخترعة، التي لم يكن للشعر العربي عهد بها.
٣ - الصُّور و الأخيلة : أَبْدَعَ الأندلسيون في هذا الجانب أيَّما إبداع، وكان لهم فيه الظهور والتفوُّق على غيرهم، فقد برعوا في التصوير، وأَغْرَقُوا في التخيُّل وبلغوا فيهما شأواً بعيداً، حيث تعاطف الشعراء مع الطبيعة الخلاَّبة، و تجاوبوا مع الحضارة المترفة، و انعكس ذلك على شعرهم فأتوا بالتشبيهات الرائعة، والاستعارات الدقيقة، والتشخيص المُمْتِع، الذي يبثُّ الحركة والحياة في الجمادات وغيرها فإذا الأشجار تتكلَّم، والورود تبتسم، والأزهار تخجل، والبحار تَزْأَرُ.
و إذا المطر يَتَّخِذُ الروض صديقاً و صاحباً، والشمس تَمُدُّ ذِرَاعيها إلى الأرض، إلى غير ذلك من الصور الجميلة و الأخيلة اللطيفة ، التي ستظهر واضحة جليَّة فيما سيأتي من نماذج .
٤- الأوزان و القوافي : أكثر الأندلسيون من نظم الشعر في البحور الخفيفة القصيرة ، لتناسُبها مع حالة الترف و اللهو و حبِّ الغناء الذي انتشر في مجتمعهم ، فجاؤوا بمقطوعات رشيقة أنيقة ، حتى ضاقت أوزان العَرُوض عمَّا تَقْتَضِيه رِقَّة الحضارة و انتشار الغناء فاستحدثوا الموشحات .

المحاضرة السادسة

اختلف الدارسون في مفهوم رثاء المدن والممالك وضح هذا الاختلاف ؟

الأول: من فرق بين رثاء المدن فأطلق هذا النوع من الرثاء على المدن التي سقطت في يد الاسبان واستلبت من -أيدي المسلمين فبكاها الشعراء.

وأطلق الثاني: على دول ملوك الطوائف التي سقطت بدخول المرابطين الى الاندلس وما نظمه الشعراء من قصائد شعرية تأسى وتأسف على المجد الزائل والسيادة الآفلة لهؤلاء الملوك .

ويصح ان ينسحب هذا المفهوم على المدن التي سقطت وخزيت بسبب الفتن التي طرأت على الاندلس وفساد الاحوال السياسيه.

وقد اطلق الدارسون على هذا اللون من الشعر اسماء اخرى ماهي ؟

سميّ بشعر النكبات والكوارث والشعر الحزين وسمّاه عبد الله كنون بالشعر الوطني وكذلك استقراه احد الباحثين وأطلق عليه الوطن في الشعر الاندلسي، وجاء في حديث (د. شوقي ضيف) وقد سمّاه (الرثاء) او ندب الدول والبلدان.

وقد نبغ شعراء الاندلس بهذا الموضوع الشعري حيث كان القرن الخامس الهجري أنفرط عقد الأندلس التي ضمتها الدولة الأموية الواحدة وصارت أندلسيات كثيرة؛ وتميزت هذه العصور بالصراع الذي أدّى الى سقوط مدن الاندلس وقد طبع هذا اللون من الشعر بطابع سياسي .

ودخل كثير من هذه الدويلات في خضومات في ما بينهم وكانت أحياناً خصومات عنيفة، اشتبكت فيها الأسلحة، وأريقت دماء.

ولاشك في أن هذه الحال اضعفت المسلمين في الأندلس، وأتاحت للعدو احتلال بعض المدن القريبة منه، وقد سجل الشعر هذه الكوارث، وقدم الشعراء رؤيتهم، واستنهضوا الهمم، ورفعوا صوت الاستغاثة.

وأسهم العلماء وأهل الحل والعقد في الأندلس في التوجه الى الدول الناشئة في المغرب لطلب المساعدة والعون، كما حدث مع دولة المرابطين في بداية الأمر كان للاستنجاد بهم، ثم كان لازالة الحكم القائم هناك ولكي تبقى تحت مظلة حكم واحد يجمع الأندلس والمغرب.

وقد سُجل هذا الموقف التاريخي، فكان في الأدباء والشعراء من نظر من زاوية الأمة في الوحدة، والقوة، وإبقاء رسم الجهاد.

وفي الشعر المشهور بيتان ينسبان الى ابن رشيق يصف فيها حال دول الطوائف بالأندلس، وهو وصف انتقادى لاذع يمثل رؤية أهل الفكر والرأي الى تلك الأحوال الصعبة؛ فيقول:

مما يزهّــدني في أَرْض أندلسٍ ألقــابُ معتــمدٍ فــيها ومُعتــضد
القأبُ مملكةٍ في غيرِ مَوْضِعها كالهرِ يحكي اختيالاً صولة الأسدِ

فكان فيهم من نظر من زاوية زوال تلك الدول التي كان أكثرها يرعى الأدب والأدباء ويشجع الشعراء على المدح والثناء ويغدق عليهم العطايا، فنظم شعراً في زوال تلك الدول ورثائها، أو في مصائر أولئك الأمراء.

والبكاء على ما مضى من زمانهم، ووصف المتغير الجذري الذي طرأ على تلك المدن، والدول ومن وجهة نظر خاصة ضيقة؛ وإن تغلبت أحياناً بلمسات إنسانية، وأول ماتذكر من هؤلاء الشعراء اميراً سقطت دولته.

وقتل بعض ابنائه ودخل في اسر المرابطين (حلفاء الأمس) ونفي عن اشبيلية الى أغمات بالمغرب وعاش بقية عمره اسيرا سجينا وعانى أهله معه معاناة شديدة: وهو المعتمد بن عباد.

ومن شعر المعتمد في اسره، يشكو حاله، وقد حل عيد الفطر سنة (485هـ) قوله يخاطب نفسه في حوار داخلي يملؤه اليأس والحسرة، وهو يرى زوجته وبناته في تلك الحال البائسة؛ فيقول:

في ما مضى كنتَ بالأعياد مسروراً فجاءك العيدُ في اغمات ماسُورا
ترى بناتكَ في الأطــمار جــائعةً يغزلن للنّاس مايملكن قِطميرا

الأطمار جمع الطّمر: الثوب البالي، القطمير: الغشاء الرقيق الذي يغلف نواة الثمرة ويضرب به المثل في الشئ النزر الذي لاقيمة له.

وكان ممن وَفَوا للمعتمد، يزوره بين الفينة والفينة ويمدحه، وله قصائد في التفجع على مصير آل عباد ورثاء ايامهم منها، فيقول:

ومن

تبكي السماءُ بمـــزن رائحٍ غادِ على البهالـيل من ابـناء عــبادِ
على الجبال التي هُدّت قواعدها وكانت الأرضُ منهــم ذاتَ اوتادِ
وكعبةٍ كانت الآمــال تخــدمها فاليومَ لاعــاكفٌ فيها ولاباد

البهلول السيد الجامع لصفات الخير. العاكف: المقيم في البلد. البادي: الطارئ (الزائر، النازل)

لقد قدّر لهذا الشاعر (ابي البقاء الرندي) ان يشهد مأساة انحسار عزّ العرب عن معظم تراث الاندلس واحتضار امجادهم الغائبة وان عدّت المراثي في المدن الزائلة والممالك الآفلة فمرثية ابي البقاء تعد اشهرها وهي تقع في ثلاثة وأربعين بيتا ومطلعها:

لكلَ شيء اذا ما تمَ نقصان فلا يضر بطيب العيش انسان

ما مزايا مرثية أبي البقاء الرندي؟

في أن مطلعها وما تلاه من أوائل الأبيات عبارة عن مجموعه من الحكم لاتكاد تخرج في جملتها عن فكره الاعتبار بمن مضى من الدول والملوك في سالف العهود.

والشاعر استطاع أن يلون عبارته مما جعلها طريقة، متمايزة باستعانته بتلك الحوادث التاريخيه التي استحضرها من أعماق التاريخ حيث بدت الأبيات بصوره عامه مكرورة المضمون.

ومن الطبيعي أن يبادر الشاعر بعد ذلك الى وصف ما ألمّ بالاندلس من شر وبلاء.

وان يعمد على مألوف رثاء الشعراء للمدائن والممالك الى ذكر البلدان المنكوبة لغزو الفرنجة وقد قام ابو البقاء – كأمثاله من الشعراء – على ابراز التضاد بينما كانت عليه البلاد وبين ما آلت اليه.

وفي اواخر القصيده يعمد الشاعر الى الاستنجاد والاستصراخ في اطار من مشاعر الأسى والمرارة، فهو يستصرخ اولئك الناعمين بالطمأنينة والراتعين بالدعة وراء البحر ولكن هيهات.

ما الخصائص العامه لشعر رثاء الممالك الزائلة؟

لقد بدأ هذا الشعر مغايرا بعض الشيء لغرض الرثاء المعهود في اشعار العرب فهو نمط طريف يقل فيه الندب والنواح وذرف الدموع على حين ينطوي على اسى ومرارة وزن عميق.

ومن هنا قلت في رثاء المدن الاندلسيه حدة البكاء وحل محلها الجنوح الى التبصر في شؤون الدنيا وسنة الكون بعبارة مشفوعة بالتأسي .

فالشاعر في الحالتين يصف الطلول والخرائب ويحرص على ان يقارن بين سالف العهد المشرق وما حفل به من أيام السعد.

وبين تجهم الحاضر وإدبار الدنيا وتقلب الدهر مستدعيا في كثير من الاحيان احلى ذكريات الماضي .

ان الشاعر في هذا النوع من الرثاء لا يقتصر على التعبير عن مشاعر الذات بل يتعدى ذلك الى رصد عواطف الجماعه والتعبير عن ظاهرة الحزن الشامل من خلال النكبات العامه التي كانت تجتاح عامه الناس

ان المبنى الاسلوبي في هذا الشعر قد يبلغ في بعض الاحيان ذروة الاداء الفني وهو في اغلب نماذجه شعر جيد يتسم بتدفق العبارة وقرب المأخذ.

وان كان حظ معانيه من الابتكار ضئيلا فمضامينه في اغلب الاحوال معادة لكنها في مقابل ذلك بما يصبه الشاعر عليها من احاسيسه تبدو مفعمة بأصدق العواطف .

يمكن ان نلاحظ ان معظم الشعر الذي قيل في رثاء الممالك انما صدر بحكم المرحلة أي كان مجيئه في عهود الضعف والانحلال السياسي والركود الادبي اذ لم يكن ثمة داع لمعالجة مثل هذا اللون في عهد بني اميه ولا في عهد ملوك الطوائف وانما قد جاء في عهد المرابطين فالموحدين وما تلاهما بعد ذلك.